

٠٢٩٤.٠٢.٠٠٣٤

## القدس العتيقة، مقال بقلم إبراهيم الفتي

وتتكون من عدة صفحات مادة أرشيفية، غير مؤرخة، مطبوعة باللغة العربية تقليدية"، تتناول بعنوان "القدس العتيقة: بوابات، شوارع، أسواق، حرف الشوارع فيها، وتتناول الوثيقة مخطط مدينة القدس في عام ٦٠٠م، وشبكة خان الزيت، سوق أيضاً معلومات تفصيلية حول أسواق القدس منها: سوق بالإضافة الى الصناعات العطارين، سوق القطنين، الأسواق الموسمية، الحرفية التقليدية فيها.

بوابات - شوارع - أسواق - حرف تقليدية

يعد نموذج ومخطط القدس الذي كشف عنه علم الآثار في احدى كنائس مادبا أهم مخطوطة أثرية تدل على ملامح مدينة القدس وعلى قوانين التخطيط في المدينة المقدسة (600 م) فشبكة الشوارع الرئيسية هي نفسها منذ انشاء المخطط والتي تعكس شكل عين الصقر كما يظهر نموذج المدينة بالخارطة.

وبالتدقيق في مدخل المدينة الرئيس ، نلاحظ انه هو نفس المدخل اليوم الا وهو باب العامود شمال المدينة ، ويظهر جليا في خارطة مادبا ، ان هذا المدخل كان يفتح على ساحة تجمع شبه دائرية واسعة ، يتوسطها عامود ومن هذا العامود ، أكسب الباب اسمه . ينطلق الزائر للمدينة من هذه الساحة عن طريق أحد محوري المدينة الرئيسيين ، طريق خان الزيت وطريق الواد ويلتقيان في الساحة في زاوية (35 درجة) .

بالتدقيق في هذه التفاصيل على أرض الواقع أثريا ، نجد شوارع الاعمدة بتدرجاتها ، وبدراسة علاقات الطرقات ببعضها نجد ذات العلاقات الرومانية ، ونرى هذه العلاقة قائمة ما بين جميع المفردات المعمارية والهندسية في نسيج المدينة .

تحليل الطرقات يظهر ان تخطيط شوارع المدينة يعود الى الزمن الى تاريخ انشائها **العنفاء** واولوية نظام التعمد ( Grid system ) تظهر جليا في المدينة حسب الخارطة حيث يظهر جزء من طريق خان الزيت ، ونلاحظ ان الشوارع التي تتقاطع معه الآن ، تلتقي في زوايا عرضية شاذة ، وبالفرضية ان الشارع الرئيس وكذلك المتقاطعة معه انشئت في نفس الفترة ، فبلا شك يجب ان يكون تقاطعها معه عاموديا كما يظهر في معظم شوارع المدينة .

يلتقي طريق خان الزيت بطريق الواد في الساحة العامة امام باب العامود في زاوية مقدارها (35 درجة) ويظهر ذلك واضحا في خارطة مادبا ، ويتفرع ايضا من الساحة شارع ثالث يؤدي الى ما يعرف بعقبة ريحان وهو المحور الى شرق المدينة ويلتقي مع طريق الواد بنفس الزاوية السابقة .

بهذا التصميم عندما يدخل الزائر المدينة يرى فضاء مفتوحا ، وشوارع الاعمدة يتدرج تصميمها المعماري يدل على وجهته ، وهذا ان دل على شيء ، انما يدل على نضوج الاهتمام في الانطباع العام للمفردات التصميمية التي تدل الزائر الى وجهته المرجوه . ظهرت الحياة الاقتصادية في القدس عبر العصر الروماني وتمثلت في تلك الاسواق التي اقيمت عبر مداخل بوابات المدينة الرئيسية ، فلو حاولنا ان نلقي الضوء على انظمة المدن القديمة في فلسطين وبلاد الشام ، سوف نجد ان مخططي انظمة المدن الرومانية ابرزت شوارعها واسواقها حيث كانت الاسواق حرفية ، ثم طور الرومان هذه الحرف وعرفت بالحرف التقليدية ، اقيمت الاسواق عبر الشوارع الرئيسية ، وعليه فقد ازدادت الرغبة لدى المجتمعات في البحث عن رموز تعبر عن انماطها المعمارية نجد خصائصها المميزة

استكمل نفاذ القدس العتيقة في اقتصادها في الفترة الرومانية

تظهر بها الموروث المعماري والحضاري بحيث تصبح بوابات مدنهم وشوارعها وأسواقها رمزا يعبر عنه الأثر المعماري الذي اعتبرته الحضارات شاهدا ودليلا عن تاريخ الامم وتراثها بمدينة القدس .  
سوق خان الزيت او سوق الزيت

من خلال القراءة المعمارية لنمط الشارع الروماني والذي فيما بعد اصبح سوقا للزيت وخانا للبضائع المختلفة ، فان الشارع الروماني كانت بدايته من باب العامود حتى مدخل سوق الدباغة ، ومدخل سوق العطارين حاليا ، وفي عام (324 م) بنى البيزنطيون كنيسة القيامة حيث الغو نصف شارع خان الزيت ، وربطوا الكنيسة بشارع معمد عبر ساحة الممرستان حاليا حتى موقع باب داود حاليا .

لهذا فان النمط المعماري لسوق خان الزيت لم يكن من اعمال الصليبيين ، ودراسة الوقائع المعمارية سالفة الذكر فان هذه القاعة اقيمت في عصر الامبراطور قسطنطين الذي بنى كنيسة القيامة ، وهذا يظهر في القناطر والاقواس حيث تم اغلاق الشارع الروماني واقامة هذا السوق بدلا من الشارع الروماني .

بناء كنيسة القيامة عبر شارع خان الزيت كسر النسبة بوجود شارع من بوابة يافا غير مستقيم مهمته توفير الالتفاف حول برج القلعة حيث كان سوق السمك ، وقد سمي باب يافا بباب السمك في تلك الفترة .  
سوق العطارين

بين زاوية خان الزيت ومدخل الدباغة وفر المعمارون ضلع اتاح اقامة سوق مركزي عبر زقاق فيما بعد عرف بسوق العطارين .

سوق العطارين يتألف من ثلاثة عشر قوسا مقنطرة في الجهة الشمالية بدايته من سوق خان الزيت كذلك في الجهة اليمنى فقد الحق الصليبيون سوق العطارين مع سوق الواد وسوق التحف والمواد التراثية الذي كان قائما ما بين باب الاسباط حتى موقع الهسبيس (القيامة) النمساوي حيث ضم تلك الاسواق وقف كنيسة السيدة حنه ، وسمي هذا السوق باسمها . سوق العطارين مسقوف بأكمله بعقود متقاطعة تتوسطها فتحات للتهوية والاضاءة ، اما سوق خان الزيت حاليا فهو الشارع الرئيس لحركة المشاة في البلدة القديمة ، وكما اشرفنا فان هذا السوق في العصر الصليبي كان متخصصا في بيع الزيتون والسيرج والسمسم والطحينة كما كان يضم عددا من معاصر الزيتون ومصانع الصابون .

الشارع الثاني يتفرع من الساحة الرئيسية لباب العامود كما يبدو فانه كان ذي صف واحد من الاعمدة ، امتداد هذا الشارع كان يتعامل مع طبقات وادي التريغون لهذا سموه بشارع الواد حيث اقيم عليه سوق الحجى الذي كان سوقا خاصا للمواد التراثية والمادة - مصنوعة من الاخشاب والصوف واصبح هذا السوق مركزا رئيسا في الشارع المؤدى للمسجد الاقصى كذلك فقد كان يوجد شارع اخر يتفرع عنه وعرف بشارع الالام (مايا دولورسا) وكان امتداد هذا الشارع لغاية بوابة الاسباط التي سماها المسيح عليه السلام ببوابة الغنم .



نير منارة حدسيه الشعريه

القراءة المعمارية لشارع الواد والشارع المستقيم فشارع الواد كان مبطلا بارضية حجرية حجارته كبيرة وهي تدل على ان العربيات كانت تمر من هذا الشارع .  
الشارع القادم من باب الاسباط حتى موقع الهسييس النمساوي حاليا كان مخصصا للعربيات التي تجر الخيول .  
كذلك نلاحظ استغلال نهاية محور طريق الواد لبناء كنيسة نيا على مساحة ضخمة ،والجدير بالذكر ان توسع حدود المدينة جنوبا اعطى هذه الكنيسة موقعا وسطيا في المدينة ،وكانت نقطة الربط بين الاحياء الجديدة ومركز المدينة التجاري ،مما اعطاها بعدا دينيا جديدا .

### سوق القطانين

يعتبر سوق القطانين من اهم الانماط المعمارية التي اقيمت في القدس وخاصة في العصر المملوكي فطول هذا السوق (95م) مدخله من شارع الواد ويمتد من الشارع حتى مدخل المسجد الأقصى حيث توجد بوابة تؤدي الى ساحة المسجد الأقصى وتدعى بباب القطن .

سميت هذه البوابة ببوابة تجار القطن مبنيت ما بين اعوام (1326-1337م) وشيدها الامير سيف الدين تنكيز الناصر حاكم سوريا بأمر الملك الناصر قلاوون .  
يتكون السوق من صنفان من الحوانيت كما كان يوجد ساحة استخدمت للحيوانات التي كانت تنقل القطن ،الطابق العلوي من السوق استخدمها صانعو حرف التقليدية الخاصة بالقطن ويحوي السوق حمامين هما حمام الشفا ،وحمام العين وخان للعرض والحرف التقليدية ،سوق القطانين مسقوف ويتكون من متون حاتوتا ،المهندسون والمعماريون قالوا عن هذا السوق انه اكمل واجمل الاسواق في كل من فلسطين وسوريا .

### الاسواق الموسمية

الحياة الاقتصادية التي ظهرت في القدس ضمن العصر البيزنطي كانت متمثلة بتلك الاسواق التي اقيمت بالقرب من كنيسة القيامة ،والسبب في ان هذه المنطقة الهامة يؤمها الحجاج والزوار الذين يأتون للقدس والكنيسة صه اوروبه  
التجارة الداخلية اتضح معالمها من خلال الاسواق التي تم ذكرها ،حيث تذكر الوثائق انه كان يوجد سوقا يعقد سنويا في وقت عيد الفصح اي في فصل الربيع عند قدوم الحجاج للقدس .السوق كان يعقد امام كنيسة القيامة وكذلك كان سوق (موزوب ) والذي يعرف اليوم بسوق (افيثموس الذي كان يعقد في فصل الصيف والتجار يحضرون معهم كل شيء يمكن ان يباع ويتاجر به .

### سوق صرف العملة

موقعه جنوب كنيسة القيامة ،حوانيته صغيرة وضيقة سريان القدس كانوا يهتمون بصرف عملة الاجانب ، وشمال هذا السوق كان يوجد شارع ضيق يربط بين كنيسة القيامة والكنائس الثلاث التي اقيمت في سوق الدباغة حاليا بحيث كانت هذه المنطقة تعرف بالمرستان حيث بنى صلاح الدين مستشفى عرف باسم المرستان .

### الصناعات الحرفية التقليدية

الحرف التقليدية كان لها دورا هاما في تنشيط اسواق القدس وبازاراتها ، مما ساهم في وضع اقتصادي جيد لناجحا عبر فترات العصور الوسطى .  
الحرف التقليدية كان لها نمطان الحرف المعروضة في الاسواق كانت تسمى كحرف صناعية والحرف التي تفرم حاجة السكان فقد عرفت بالحرف الخدمية لهذا فان كل من الحرف التقليدية والخدمية كانت قائمة على خطوط الطرق .

- خط الواد وخط ربحان الموصل الى باب العامود وخط المولوية في محلة باب العامود كانت سوقا للصنع الحرف التقليدية الالية :- حرف التراث والصوف ، وصناعة بيوت الشعر والاكياس .
- خط باب حطة وخط حمام السلطان بمحلة الواد فقد كانت سوقا للمواد التموينية حيث توجد الافران والمقاهي ، والعتالة .
- خط البسطامي بمحلة باب العامود وجود مصنع للزجاج وينتج الاواني الزجاجية المنزلية والواح الزجاج .
- خط الزراعه بمحلة النصاري وخط الخانقاه الصلاحية كانت الحرف التقليدية الخاصة بالوانني والادوات النحاسية والحدادة .
- حرف الخياطة والنسيج حيث كان سوقا سمي بسوق الخياطين
- حرف الحصر والسلال والقفف كانت تصنع في قرية ابوديس وتعرض في سوق الواد .

سوق الفحم مركزه وادي الجوز .

سوق اللحامون عبر منطقة الممرستان

القهوجية والفرانون والطحانون والسقاؤون ، والساعاتية ، والحلاقون فهم يغطون اسواق القدس عامة .

حرف دباعة الجلود ساعد انتشارها في القدس وجود الثروة الحيوانية عبر سوق الدباعة كذلك فقد كان في هذا السوق تصنع الاحذية .

اما حرفة الفخار سمي صانعوها بالفواخيري ، حيث كان في القدس تسع فاخورات اهمها فاخورة البسطامي قرب المدرسة المأمونية .

فكل من شوارع القدس الخمس وبواباتها الستة <sup>١٢</sup> أنماط تراثية تضمها جمعت بين كل من الحضارة والتاريخ والقمة والاستمرارية عبر القرون .

بئر